اختار الصعب ليهبه حياته

محمد السيد عيد*

قديمًا قال الكاتب اليوناني أرسطو: الدراما أكثر صدقًا من التاريخ. لأن التاريخ يقف عند ذكر الوقائع، أما الدراما فتهتم بالحقائق الكلية، الحقيقة الإنسانية. ومن هنا كانت الدراما التاريخية من أصعب الفنون. وقد اختار محفوظ عبد الرحمن هذا الفن الصعب ليهبه حياته، ويقدم للناس ما ينفعهم ويمتعهم.

لم يكن محفوظ مجرد كاتب يقدم القصص والحواديت الإنسانية، كما يفعل كتاب الدراما الاجتماعية، وهي فن له احترامه، بل اهتم بأن يقدم للناس تاريخهم، ودينهم، من خلال مسلسلات يتميز كل منها ببناء فني، يعبر عن رؤية محفوظ الخاصة لقضايا الإنسان والمجتمع والعصر، وبتوازن فني نادر بين التاريخ والفن، ويثير دهشة المتلقي، حتي لو كان عارفًا بوقائع التاريخ التى يقدمها في مسلسلاته.

---

* كاتب وسيناريست مصري شهير، قدم العديد من مسلسلات السيرة الذاتية، مثل «قاسم أمين، وغيرها.

وحين أقول ، إن محفوظ تميز في الدراما التاريخية، فلا أقصد الدراما التلفزيونية فقط، فقد كان محفوظ يكتب الدراما التاريخية للمسرح والإذاعة والتلفزيون. وأذكر أن أول ما كتبته عنه كان مقالًا حول مسرحية «احذروا» التي قدمها المسرح المتجول، حيث تناول في هذه المسرحية القصيرة قضية خطيرة من القضايا التي تواجه الأمة وتهددها بالضياع، وهي ضرورة ألا نستهين بنقاط الماء البسيطة التي تتسرب من جسم سد عظيم، فقد تكون هذه النقاط سببًا في كارثة كبرى، خصوصًا إذا كانت هناك جبهة من المستفيدين الذين يهتمون بمكاسبهم أكثر مما يهتمون بمصالح الوطن. وقدم هذا من خلال قصة انهيار سد اليمن في العصور القديمة.

أذكر أني حين شاهدت هذه المسرحية كتبت عنها بإعجاب شديد في مجلة المسرح التي كانت تصدر في ذلك الوقت، دون أن أعرف محفوظ عبد الرحمن. ويومها أرسل لي مع مخرج العرض، أبو بكر خالد رحمة الله عليه، يبدى إعجابه بما أكتبه خصوصًا في مجال التاريخ.

ويمكن تعميم القاعدة السابقة عن علاقة محفوظ عبد الرحمن بالكتابة التاريخية على كل ما كتبه، سواء أكان في مسلسلاته التلفزيونية أو الإذاعية، ولنأخذ المسلسل التلفزيوني «بوابة الحلواني» نموذجًا. في هذا المسلسل نرى محفوظ يقدم لنا تفاصيل الفترة

التاريخيـة التـي يعالجهـا، ويعرفنـا بأهـم شـخصياتها، مثـل الخديـو إسـماعيل، وأمـه الوالـدة باشـا، وإسـماعيل المفتـش وزيـر ماليـة مـصر، وعـلي مبـارك، وعبـده الحامـولي، وفي نفـس الوقـت يحقـق لنـا المتعـة الفنيـة. كـما نجـد التـوازن بـين الجانـب التاريخـي والجانـب الاجتماعـي، ويقـدم لنـا محفـوظ صفحـات مـن تاريـخ مـصر الاجتماعـي، تذكرنـا بأسـامة أنـور عكاشـة الـذى أخـذ عـلي عاتقـه عـبء التاريـخ الاجتماعـي لمـصر في مسلسـلات مثـل «ليـالي الحلميـة» و«المصراويـة» وغيرهـا.

ولعلنـا نعـرف قيمـة هـذا المسلسـل بشـكل واضـح إذا قارننـا بينـه وبـين مسلسـل «سراى عابديـن»، الـذى قـدم نفـس الفـترة التاريخيـة، فـإذا بنـا نـرى جهـلًا شـديدًا بالتاريـخ المـصرى، وإذا بالتاريـخ يتحـول إلي مكائـد نسـائية عـلي طريقـة حريـم السـلطان. إن الفـرق بـين المسلسـلين يسـاوى الفـارق بـين السـماء والأرض.

أمـا في «أم كلثـوم» فقـد رأينـا التـوازن بـين تاريخهـا الشـخصي وبـين تقديـم تفاصيـل العـصر، بمـا فيـه مـن وقائـع، وأعـلام الفـن، أمثـال القصبجـي، والسـنباطي، وبـيرم التونـسي، وأعـلام السياسـة مثـل جـمال عبـد النـاصر، ورجـال الثـورة. بالإضافـة إلى أنـه نجـح في تقديـم أم كلثـوم باعتبارهـا قـدوة لـكل باحـث عـن القـدوة.

إن محفـوظ عبـد الرحمـن واحـد مـن أهـم كتـاب الدرامـا التاريخيـة المعاصريـن، ليـس في مـصر وحدهـا، بـل في الوطـن العـربي كلـه. وأعتـبر

أن محفـوظ عبـد الرحمـن، وعبـد السـلام أمـين، رحمـة اللـه عليهـما، ويـسرى الجنـدى، وكاتـب هـذه السـطور، هـم أعـلام المدرسـة المصريـة لكتابـة الدرامـا التاريخيـة.

obeikan.com